تقول اردد كما استمنك لانه ليس فى بنات الاربعة مثل احمر وجم فيظهر التضعيف فيعود
بالادغام مما عليه الملحق فاما مقابلة الالفاظ بما يشاكل اصواتها من الاحداث فباب واسع
من ذلك قولهم خضم وقضم فالخضم للرطب كالبطيخ والقثاء والقضم للصلب اليابس نحو قضمت
الدابة شعيرها وفى الخبر قد يدرك الخضم بالقضم اى قد تدرك الرخاوة بالشدة واللين
بالتنظف وعليه قول ابى الدرداء تخضمون ونقضم والموعد الله فاختاروا الخاء لرخاوتها
للرطب والقاف لصلابتها لليابس جذوا المسموع الاصوات على محسوس الاحداث ومن ذلك قولهم
النضح والنضخ جعلوا الخاء لرقتها للخاء الخفيف والخاء لغلظها لما هو اقوى منه قال الله تعالى
فيهما عينان نضاختان ومن ذلك قولهم القد طولا والقط عرضا جعلوا الطاء التى هى اخص
للصوت واسبع تطعاله لقطع العرض لقربه وسرعته وجعلوا الدال المماطلة لما طال من الاثر
وهو قطعه طولا ومن ذلك قرت وقرد وقرط فالتاء اخف الثلاثة فاستعملوها فى الدم
اذا جف لانه قصد ومستخف فى الحس من القرد الذى هو السناك فى الارض ونحوها
وجعلوا الطاء وهو اعلاها صوتا للقرط الذى يسمع وقرد من القرد لانه موصوف بالقلة
والذلة قال الله سبحانه فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ينبغى ان يكون خاسئين خبرا
بعد خبر ولا يفيد كونه صفة لان القرد لذله وصغاره خاسئ ابدا فلا فائدة فى وصفه
بانه خاسئ واذا كانا خبرين لم يختص احدهما بالافادة دون الآخر ولذلك قدر العائد
من مجموعهما لا من احدهما ويجوز ان يكون صفة لان الخاسئين هم القردة فى المعنى وهذا
شئ عرض فقلنا فيه ومن ذلك الوسيلة والوصيلة فالصاد اقوى صوتا لما فيها من
الاستعلاء فجعلت لاقوى المعنيين لان التوسل يراد للتوصل ومن ذلك الخذا فى الاذن
استرخاؤها والخذأ الاستحذاء والبذال لما كان صوت الواو اضعف من صوت الهمزة
خصوها باضعف المعنيين لان استرخاء الاذن ليس من العيوب التى يتناهى فى استقباحها
واما الذل فمن اقبح العيوب ومن ذلك جفا يجفو وجفأ الوادى بغثائه فيها معنى الجفاء
لارتفاعهما الا انهم خصوا الوادى بالهمزة لما هناك من حفزه وقوة دفعه ومن ذلك
قولهم صعد وسعد جعلوا الصاد التى هى اقوى لصعود الجسم لظهور اثره وجعلوا
السين التى هى اضعف لصعود الجد لخفائه حسا فان قلت فكان يجب ان يكون الخذا
فى الاذن مهموزا وفى الذل غير مهموز لان عيب الاذن مشاهد وعيب النفس غير مشاهد

فالفرق

فالفرق ان عيب الأذن وان كان ظاهرا فانه لا علاج فيه ولا مشقة انما هو خمول وذبول
ومشقة الصاعد ظاهرة متجشمة فالاثر فيها اقوى ومن ذلك السد والصد فالسد للباب
ونحوه والصد جانب الجبل والوادى والشعب فهو اقوى من السد الذى يكون لثقب الكوز
والقارورة ونحوه فخصوه بالحرف الاقوى ومنه القسم والقصم فالقصم اقوى فعلا لانه يكون
معه الدق وقد يقسم بين الشيئين فلا ينكأ احدهما ومنه القطر والقدر فالاول
للأعلى والثانى للأسفل لان الطاء مستعلية والتاء مستفلة والدال بينهما فعبر بها عن
معظم الامر ومقابلته فقيل قدر الشئ لمظهه ومحزنجه وينبغى ان يكون قطر الاناء من لفظ
القطر ومعناه وذلك انه انما يقط الماء من صفحته الخارجة وهو قطره نعم ومن ورآء هذا
ما هو الطف منه واصنع وذلك انهم قد يضيفون الى ما ذكرناه من اختيار الحروف وتشبيه
اصواتها بالاحداث المعبر بها عنها ترتيبها وتقديم ما يضاهى اول الحدث ثم ارسله ثم آخره
لتكون الحروف على سمت المعنى المقصود وذلك نحو قولهم بحث فالباء لتظاهر تشبه خفقة
الكف على الارض والحاء لصلها تشبه صوت مخالب الاسد ونحوها اذا غارت فى الارض
والثاء للنفث كالبث للتراب وهذا امر نراه محسوسا ومن ذلك شد الحبل قدموا الشين
لان ما فيها من التفشى يشبه صوت اول انجذاب الحبل قبل استحكام الفصل ثم يليه احكام
الشد وتاديب العقد فعبر عنه بالدال لانها اقوى لاسيما وهى مدغمة فهو اقوى لصنعتها و
اول على المعنى المراد بها فاما الشدة فى الأمر فمستعارة من شد الحبل ومن ذلك قولهم جز
الشئ قدموا الجيم لان اول الجز بمشقة على الجار والمجرور فقدموا الجيم لانها حرف شديد ثم
عقبوا ذلك بالزاء لانها مكررة وكرروها مع ذلك فى نفسها لان الشئ اذا جز على الارض فى
غالب الامر اهتز واضطرب صاعدا ونازلا وتكرر ذلك منه على ما عينه من التقعقة والقلق
هذا محجة هذا فان رأيت شيئا من هذا النحو لا ينقاد لك فيما رسمناه فلا حد امرين اما انك
لم تمعن النظر فيه واما لان لهذه اللغة اصولا ودلايل قد خفيت عليك وقصرت اسبابها
دونك كما قال سيبويه فى نحو هذا اولان الاول وصل اليه علم لم يصل الى الآخر فان قيل
هلا اجزت ان يكون ما اوردته فى هذا الموضع شيئا اتفق وامرا وقع فى صورة المقصود
وان لم يكن مقصودا قيل فى ذلك حكم ابطال حكمة العرب التى تشهد بها العقول وتناصر
اليها اغراض ذوى التحصيل فما ورد على وجه يقبله القياس وتنقاد اليه دواعى النظر حمل عليه